التنظيمات النسائية في القدس في فترة الانتداب البريطاني

(سنوات العشرينات و الثلاثينات)

الين فليشمان

الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية

الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، مؤسسة فلسطينية مستقلة، تأسست عام ١٩٨٧ في القدس، لا تسعى للربح أو التجارة أو المنفعة المالية، وغير مرتبطة بأية جهة حكومية أو حزبية أو تنظيمية أو طائفية، وتعد وتنفذ برامج أكاديمية دورية وسنوية متخصصة في المسألة الفلسطينية في مضمونها الوطني واطارها القومي وأبعادها الدولية، وتوظيف هذا الجهد الأكاديمي للتعريف بخصوصية وعناصر المسألة الفلسطينية محليا واقليميا ودوليا.

إن ما ورد في هذه الدراسة من آراء وأفكار، يعبر عن وجهة نظر الباحث الشخصية ولا يعكس أو يمثل بالضرورة موقف أو رأي الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، أو العاملين فيها. وقد قدمت الباحثة الين فليشمان هذه الدراسة ضمن برنامج الندوات المتخصصة السنوية في الجمعية للعام ١٩٩٤.

Ellen Fleischman
Jerusalem Women's Organizations
During the British Mandate Period
The 1920s - 1930s

جميع الحقوق محفوظة للجمعية
الطبعة الأولى - آذار ١٩٩٥

مطبوعات PASSIA
هاتف: ٨٩٤٤٢٦-٢-٩٧٢ فاكس: ٢٨٢٨١٩-٢-٩٧٢
ص.ب. ١٩٥٤٥ - القدس الشريف

المحتويات

مقدمة : المنهجية والمصادر ٤

المشهد : القدس ونساء القدس في فترة الانتداب المبكرة ١١

الحركة النسائية في القدس في العشرينات وحتى الثلاثينات ٢١

تقويم الحركة النسائية ٣٥

الهوامش ٤٣

المقدمة: المنهجية والمصادر

هذه دراسة تمهيدية، هي جزء من مشروع بحث تحت التنفيذ، يتناول ظهور الحركة النسائية الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني في فلسطين. فقد لعبت نساء القدس دورا مميزا ومتفردا في إنشاء هذه الحركة، حيث شكلن نواة أقدم التنظيمات النسائية في فلسطين في سنوات ظهورها، وغالبا ما لعبن دورا تحريضيا وتنسيقيا بالنسبة لبقية أنحاء البلاد، كما كن من بين الأوائل تنظيما لتحقيق أهداف سياسية واضحة، بدل التركيز فقط على أهداف خيرية. وقد أصبحت قائدات التنظيمات النسائية في القدس قائدات وطنيات بحكم استحقاقهن ذلك.

من المهم، قبل تحليل التاريخ الخاص لدور نساء القدس في الحركة النسائية، أن نحدد مصادر هذه الدراسة والسياق الاجتماعي-الاقتصادي، والثقافي والسياسي للمجتمع الفلسطيني خلال هذه الفترة، اذ يتعرض تاريخ النساء الفلسطينيات للضياع والتشويه مع مرور الوقت، كما أن هذا التاريخ يتسرب من أيدينا بسبب عملية إهمال خبيثة، وافتقار الى الاعتراف في حقل التاريخ التقليدي، بالروايات التي تقدمها النسوة اللواتي يشكلن أكثر من نصف عدد السكان، وذلك بسبب جنسهن لا أكثر من ذلك. وأثناء كتابتي عن النساء، في محاولة للاسهام في الروايات التاريخية الفلسطينية، كثيرا ما

كان يوجه الي السؤال القائل "لماذا تفردين النساء عن مجمل التاريخ ؟؟". لست معنية بفصل النساء الفلسطينيات عن الرجال في التاريخ، بل انني معنية بتصحيح النص التاريخي العادي، الذي يعرض التاريخ على أنه "قصة انسانية عالمية تمثلها حياة الرجال"[١]، ويلاحظ نتيجة لهذا التقليد التاريخي، غياب النساء عن كل روايات التاريخ الفلسطيني تقريبا . إن معرفة الماضي بشموليته، تساعد في تعميق فهم الوضع الحالي ووضعه في سياقه الصحيح .

هذا التاريخ الى جانب ذلك، رواية غنية لها خصوصيتها وتستحق التسجيل . أما العلاقة ما بين الانتماء الوطني الفلسطيني والمرأة الفلسطينية، فهي علاقة معقدة تاريخيا، اذ غالبا ما كان يوضع لها حد، وتحال النساء النشطات في المرحلة المعينة، الى هوامش الرواية الوطنية، هذا اذا ما ذكرن أصلا . وقد أدت الأزمة الوطنية التي تبدو بلا نهاية الى شتات وسجن وموت وتفرق الناس بشكل واسع، كما أدت الى حرمان اقتصادي وسياسي وشخصي عام. وكان من الطبيعي ان تتأثر النساء بكل هذا بشكل عميق. كما كان أحد ردود فعلهن في وقت مبكر، هو تنظيم أنفسهن بأنفسهن بنشاط وفعالية .

ينظر الى التاريخ عموما على أنه "الأحداث الكبيرة"، وهو مفهوم تتأصل فيه الذكورة، حيث يجري تعريف الأحداث الكبيرة عادة بأنها تتشكل كليا من نشاطات الرجال في المجالات المنظمة رسميا، الخاصة بالسياسة والحرب والاقتصاد وما الى ذلك من مجالات. وفي واقع الحال، فان التطورات التي تسبق وتلي الأحداث الكبرى – وهي التي وصفها المؤرخ الفرنسي فرناند براودل Ferdnand Braudel بأنها "ذات الأمد الطويل"

"the longue duree" – هي التي غالبا ما تكون ذات أهمية قصوى في التأثير على حياة الناس وتشكيلها . قد تكون الحادثة المنفردة الكبرى المعينة، هي التي أدت الى هذه التطورات الأطول بقاء، الا أن الأمر الذي ربما يكون أكثر أهمية من الحادثة نفسها، هو كيف يعيش الناس تأثيراتها . تلعب النساء دورا كبيرا في هذا النوع من التاريخ. وبالامكان أن نأخذ أحداث سنة ١٩٤٨ مثالا على ذلك. فلولا الدور الذي لعبته النساء الفلسطينيات في أعقاب النكبة تثبيتا لهويات العائلات وتماسكها، كان من الممكن أن يفقد المجتمع الفلسطيني ذلك التماسك الهش الذي استطاع الاحتفاظ به. النساء الفلسطينيات هن جزء لا يتجزأ من تاريخهن، ليس فقط باعتبارهن ضحايا غير فاعلات، ولكن لكونهن مشاركات نشطات أيضا . هناك الكثير من النشاطات غير الرسمية التي تقوم بها النساء، ومن ذلك دورهن (المجاني) في البيت والزراعة والسياسة الاحتجاجية غير المنظمة، الى جانب نشاطات في مجالات أخرى ينظر اليها بأنها نشاطات غير مهمة، وذلك فقط لانها نشاطات تقوم بها النساء وليس لانها في حد ذاتها نشاطات غير مهمة. أما النساء الفلسطينيات، فقد كن من جهتهن دائما مشاركات نشطات في صياغة تاريخهن، رغم التصورات الخاطئة الشائعة، التي تدعي بأنهن "لم يفعلن شيئا"[٢] . أما التحدي الذي نواجهه هنا فهو إعادة تعريف مكونات "فعل شيء" وفق التصور التاريخي.

ولعل إحدى النتائج الكبرى لمحاولة "جعل النساء موضع بحث أو موضوع خبر أو محور رواية"[٣]، هو أن على المؤرخين أن يكشفوا عن مصادر تتعلق باناس ومواضيع ينظر اليهم واليها بعدم استحقاق التوثيق. وتشمل هذه العملية، الانخراط في بحث صعب عن المواد، مما يشكل تحديا وعبئا اضافيين.

لقد أملت مصادر هذا البحث الى حد كبير مسار العمل فيه. فالمعلومات التاريخية الخاصة بالنساء الفلسطينيات محدودة أصلا، بالنسبة لنوعها واتساعها وارقامها. بالامكان القول أن المصادر موجودة لمن يعنى بالكشف عنها، الا أنه ينبغي استخدامها بعناية. فقد قمت بتحقيق أربعة مصادر كبرى هي:

(١) صحافة فترة الانتداب وخاصة الصحف العربية الكبرى مثل فلسطين والدفاع وغيرها

(٢) وثائق الحكومة البريطانية الموجودة في مكتب السجلات العامة في لندن، وفي أرشيف دولة اسرائيل في القدس، وفي الارشيف الصهيوني المركزي في القدس

(٣) مقابلات شخصية مع نساء ورجال ممن يتذكرون تلك الفترة

(٤) مذكرات أو رسائل شخصية مختلفة (بريطانية أساسا) وكراسات نشرتها منظمات نسائية ومصادر ثانوية مثل الكتب والمقالات. لكل مصدر من هذه المصادر مشاكله، ليس أقلها أن بعضها، وخاصة المذكرات الشخصية، ضئيل وشحيح. كما أن تشتت الشعب الفلسطيني بسبب النكبة يعقد مشكلة تركيب أو إعادة تركيب التاريخ. فقد جرى اتلاف مواد مؤرشفة ثمينة في الحرب، أو أن مثل هذه المواد قد اختفت في فوضى الرحيل والشتات. الى جانب ذلك فان ذلك المصدر الأكثر حساسية، ألا وهو الذاكرة الانسانية، قد تعرض للضياع، بسبب وفاة الكثيرين من جيل الانتداب، مخلفين وراءهم صمتا وفجوات لا يمكن جسرها ابدا. كما أنه يصعب العثور على آخرين من ذلك الجيل، بسبب تفرقهم في أطراف المعمورة.

لا يمكن القول أن أيا من المصادر المذكورة أعلاه يخلو من المشاكل. ومن ذلك أنه يمكن إطلاق تعميمات معينة على الصحافة مثلا: فمعظم التقارير الصحفية عن

النساء الفلسطينيات لا تغطي عموما الا النساء المدينيات والمتعلمات والنخبة منهن المشاركة في التنظيمات. وتعكس هذه الحقيقة مفاهيم محدودة لما يمكن أن يعتبر "خبرا" (في ذلك الوقت وفي الوقت الحاضر أيضا)، بحيث كانت النشاطات النسائية الكبرى المعتبرة بأنها جديرة بالاهتمام، هي بالاساس النشاطات المنظمة شبه السياسية، وأن الشخصيات التي تعتبر جديرة بالاهتمام هن نساء العائلات المعروفة. ليست هناك عادة وسيلة للتأكيد من صحة ما تنشره الصحف، لانها غالبا ما تكون المصدر الوحيد للمعلومات الخاصة باحداث أو تطورات أو مواضيع معينة، ولا يستطيع المرء أن يتأكد من صحة المعلومات الواردة فيها، مما يؤدي الى عدم التثبت من الحقائق، خاصة وأن الصحف قد تناقض بعضها، أو قد تناقض نفسها في مقالاتها المختلفة.

أما قصورات الوثائق الحكومية فانها لا تحصى، وأول هذه القصورات هو طبيعتها الانتقائية، اذ كان للبريطانيين مصالحهم الخاصة بهم في فلسطين، وكانت المناسبات التي اختاروا فيها ذكر النساء أو التعامل معهن على المستوى الحكومي محدودة، بسبب عدم توفر الاهتمام لدى الحكومة بأمور ذات علاقة بالنساء العربيات، وبسبب الآراء والمواقف الشخصية لموظفي الحكومة تجاه النساء. وبالتالي كان هناك ميل الى عزل النساء في ملفات التعليم والصحة والشؤون الدينية.

المقابلات التي اجريت مع اولئك الذين عاشوا ذلك الزمن، وتلك الأحداث، هي الاغزر مادة والأكثر إثارة، ولكنها في الوقت نفسه الأكثر احباطا من بين المصادر التي اطلعت عليها. ومن المشاكل الواضحة التي تعرقل التعامل مع المصادر البشرية، ضعف الذاكرة، واختلاف الاهتمامات ونقاط التركيز ما بين مجري المقابلة وبين الراوي، وكذلك

الأهداف الشخصية والسياسية للافراد، مما يؤثر على تفسيراتهم للماضي أو ذكرياتهم. كما أن هناك مخاطرا ناجمة عن التفاوت ما بين رغبة الرواة في كيفية النظر الى تجاربهم، وبين اهتمامات المؤرخين واسئلتهم الخاصة والمحددة. والى ذلك كله، يضيف الواقع الفلسطيني مشاكل اخرى، كخوف الناس، وشعورهم بالاحباط من الحديث عن ماض مؤلم ما زال يلقي بظلاله على الحاضر ويسكن فيه. كان من الصعب العثور على نساء اكبر سنا لاجراء مقابلات معهن. فلقد أدى انتقاص المجتمع، بل والنساء أنفسهن، من دورهن وهويتهن التاريخية، الى خلق تصور لديهن، بانه ليس بامكانهن الاسهام الا بالقليل. ولا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا التصور.

بسبب ما ذكر، فانني اكرر أن المصادر قد لعبت دورا مقررا فيما نقدمه في هذه الدراسة. ولا أدعي بانني أقدم هنا شرحا شاملا يمثل نساء القدس جميعهن في تلك الفترة. ما يمكنني أن اقدمه في هذه الدراسة، ودعوني استخدم كلمات احدى نساء القدس، التي تلطفت بالحديث اليّ ساعات طوال، هو "كوة على عالم فسيح"[٤].

المشهد:
القدس ونساء القدس
في فترة الانتداب المبكرة

فيما يلي سأرسم بعض الخطوط الاجتماعية والاقتصادية العامة لفترة الانتداب البريطاني في القدس. وحيث أنه ليس بامكان هذه الدراسة بحال، أن تفي بالمهمة الضرورية جدا، ألا وهي التأريخ الشامل للقدس خلال فترة طويلة كهذه، فانني سأقوم بالتركيز على سنوات العشرينات والثلاثينات من تلك الفترة، وهي السنوات التي مثلت الفترة الحاضنة لظهور وتطور الحركة النسائية الفلسطينية. كانت تلك، سنوات عاشت فيها فلسطين سلسلة من الأحداث العنيفة والبارزة، تخللتها فترات من الهدوء النسبي.

تحولت القدس، منذ الاحتلال المصري لفلسطين أوائل القرن التاسع عشر، من "بلدة ريفية صغيرة نسبيا" لتصبح مع الزمن "أكبر مدينة في فلسطين، والمركز السياسي والثقافي للبلاد"، عشية الاحتلال البريطاني في الحرب العالمية الأولى[٥]. وقد ازدهر فيها العمران في أعقاب حرب القرم، فبنيت المدارس والمستشفيات والكنائس والمساجد ومبان عامة اخرى، الى جانب إدخال تحسينات على أنظمة المواصلات فيها، فانشئت الطرق، والسكة الحديد، وخطوط التلغراف والهاتف، وطورت الخدمات البريدية. الى

جانب ذلك، أخذت المدينة خلال تلك الفترة بالتوسع خارج سور ما يعرف اليوم بالبلدة القديمة[٦].

ومع أن القدس كانت دوما ذات أهمية دينية وثقافية، الا أنها أصبحت خلال الفترة البريطانية، ولاول مرة، مقرا "لحكومة وطنية"[٧] حكمت المنطقة الجغرافية الكاملة لفلسطين التاريخية. وقد حدثت خلال الثلاثين عاما من الحكم البريطاني، تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية مهمة، جرى بعضها بالتدريج وجرى البعض الآخر بشكل أكثر حدة، فاقيمت مدارس حديثة، وانشئت دوائر حكومية وفرت الوظائف، كما اسست نواد وجمعيات ومحطة اذاعة. كما شهدت هذه الفترة ايضا تغييرات عميقة في نسيج حياة السكان في القدس. فأخذت الحياة المدينية النشطة تزدهر، وأصبح بامكان الناس مشاهدة الافلام، وحضور محاضرات أدبية وثقافية ومباريات رياضية وحفلات، والمشاركة في دورات تقيمها نواد ومعاهد مختلفة، وفي مهرجانات وأسواق خيرية، وكذلك مشاهدة عروض مسرحية تقيمها المدارس.

كانت الوظائف الحكومية متاحة للرجال والنساء. وقد أولى البريطانيون اهتماما لتشكيل طاقم من الموظفين المدنيين المؤهلين للعمل في الحكومة، يكون بامكانهم أن يديروا بنجاعة مصالحهم السياسية والاستراتيجية في فلسطين، مع المحافظة بشكل عام على الوضع الاجتماعي القائم. وقد أملت هذه الأهداف الى حد بعيد جدا السياسات التعليمية، التي كانت مرتبطة بشكل وثيق بالاستراتيجيات التطويرية في فلسطين. وقد بدأت الحكومة بسرعة كبيرة على كل حال، بمواجهة التناقضات المتأصلة في سياساتها، اذ لعب التعليم باستمرار دورا في التغيير الاجتماعي والاقتصادي، مناقضا بذلك الوضع القائم نفسه الذي حاولت الحكومة الحفاظ عليه. وكلما كانت ترتفع مستويات تعليم الفلسطينيين، كانت ترتفع معها توقعاتهم الحصول على توظيف

متكافىء . موضوع التوظيف الى جانب هجرة أعداد متزايدة من الفلاحين الذين لا أرض لهم، الى المناطق المدينية، كان لهما أثر مختلف على المدن الأخرى، عما كان لهما من أثر على القدس التي كان لها اقتصاد ذو توجه استهلاكي مميز، بسبب دورها الفريد، باعتبارها مركزا سياحيا واداريا ومركزا للحج. الا أن البريطانيين طوروا ببطء دوائر وخدمات حكومية جديدة، كدوائر الشؤون الاجتماعية والأشغال العامة، وتسجيل الأراضي والصحة والخدمات المدينية والبريد مثلا، وقد أسهم ذلك في إيجاد وظائف حكومية في المنطقة.

عاشت الكثيرات من نساء القدس حياة نشطة، وكان بامكان بعض النساء من الطبقات الوسطى والعليا أن يبدأن ببطء بتحدي التقاليد التي أبقتهن في معزل عن الحياة العامة. وقد لعب التعليم دورا مهما في فتح مجال العمل، سواء أكان بأجر أم تطوعا، وأخذت النساء يشاركن في حياة المدينة السياسية والاقتصادية والثقافية. تتذكر النساء اللواتي اجريت مقابلات معهن، انهن حضرن محاضرات في جمعية الشبان المسيحية (YMCA) أو جمعية الشابات المسيحية (YWCA) وفي نواد ثقافية مختلفة، كما يتذكرن الذهاب الى السينما والمشاركة في دورات للطباعة والاسعاف الأولي.

أما نشاطات النساء – بل والرجال أيضا – من الطبقات الفقيرة، فقد تركزت على حاجات الحصول على الغذاء واعالة عائلاتهم. اذ دمرت الحرب العالمية الأولى البلاد، مما أدى الى انخفاض عدد السكان، والى المجاعة، وهجمات الجراد، وتقطيع الاشجار والاحراش، وانخفاض قيمة العملة، وتمزيق الاقتصاد[٨]. كان الفقر في القدس منتشرا بين اولئك القاطنين في البلدة القديمة بشكل خاص، فقد كانت ظروف المعيشة

غير صحية، والتجهيزات السكنية غير مناسبة، وشكلت المجاعة خطرا حقيقيا في أوقات الأزمات، كما جرى في أعقاب الحرب العالمية الأولى وفي الازمة الاقتصادية في الثلاثينيات. والى جانب زيادة التمدين، تصاعدت المشاكل الناجمة عن تزايد عدد السكان الذين توافدوا الى المدينة طلبا للعمل. ولذا، فربما كان أمرا طبيعيا أن تعمل التنظيمات النسائية الأولى في مجال العمل الخيري.

الا أن التحولات الاقتصادية أيضا، وفرت الفرص أمام النساء. وباستثناء سنوات الحرب العالمية الثانية، فان الوضع الاقتصادي ظل متدهورا في فلسطين خلال الكثير من سنوات الحكم البريطاني. وقد أدت المشاكل الاقتصادية الى تغيرات عملية في الموقف من عمل النساء خارج البيوت. وقد لاحظت احدى المهتمات بالحركات النسائية التي زارت فلسطين سنة ١٩٢١، بأن التأثير الاقتصادي للحرب العالمية الأولى، قدخلق ضغطا ماليا، أثر على أولياء الأمور المسلمين خاصة، ودفعهم الى تعليم بناتهم:

> (هناك الكثير من الآباء المسلمين الذين لا يستطيعون إعالة عائلات من البنات، لا يساهمن في الدخل .... ويرى هؤلاء الآباء كيف تحصل البنات المسيحيات واليهوديات على وظائف في مكاتب الحكومة فيساعدن أنفسهن وعائلاتهن بهذه الطريقة، دون إحداث خلل حاد في الحياة المنزلية).

يلاحظ أن الكاتبة لا تميز بين الطبقات المختلفة، وتأثرها بالأزمة الاقتصادية، وبالتالي فانه ليس واضحا من تقصد بالضبط، عند استخدامها هذا التصنيف العام "الآباء المسلمين"، الا أنه من الممكن الافتراض أن اتصالاتها كانت بالاساس بالطبقات الوسطى والعليا، التي كان رجالها أكثر ميلا الى تعليم بناتهم خلال هذه الفترة. وتفسر

الملاحظة كيف أثر الوضع الاقتصادي على اولئك الذين كانوا في وضع جيد نسبيا اسوة بتأثر الفقراء. ورغم أن نوع وعدد الوظائف[١٠] التي توفرت للنساء كانت محدودة في الواقع[١١]، الا أنهن أخذن بالتسلل الى قوة العمل. فقد عملت الكثيرات من النساء من الطبقات العليا والوسطى في التعليم، وبعضهن عملن في وظائف حكومية، في دوائر الصحة والاشغال العامة أو في البرق والبريد. وحيث أن القدس كانت مقرا للحكومة، فقد كانت الكثير من الوظائف المتوفرة للنساء موجودة فيها. وكانت النساء يأتين أحيانا من أماكن مثل رام الله[١٢]، أو القرى المجاورة، أو ينتقلن للسكن في القدس، من أجل الحصول على العمل. ويبدو أن العمل في مجال التعليم كان الأكثر قبولا من ناحية اجتماعية، والأكثر رغبة لدى نساء الطبقات العليا والوسطى، مع أن عددا قليلا من النساء أصبحن طبيبات وقابلات وممرضات. ولعبت الحكومة البريطانية دور الدفع والجذب، في تطوير قطاعات احتاجت الى نساء مهنيات. فقد عبر المسؤولون البريطانيون في قطاع التعليم دوما، عن أسفهم لعدم توفر معلمات مسلمات مؤهلات (واستغلوا هذا النقص حجة لتبرير تباطئهم في إقامة مدارس للبنات وخاصة في القرى)[١٣]. كما افترضوا أن هناك حاجة لطبيبات لمعالجة النساء، وخاصة لمعالجة مناطق حساسة من الجسم في حالة الامراض التناسلية، أو في التوليد أو الامراض النسائية، بل ووفرت الحكومة أيضا، بعثات محدودة لتدريب النساء في مهن طبية وإنشاء مراكز لتدريب القابلات[١٤].

كان والد سعيده جار الله، وهو قاض بارز في المحاكم الاسلامية[١٥]، تقدميا بشكل غير عادي بالنسبة لتعليم بناته السبع. فقد أدرك أن تزويدهن بالقدرة على كسب عيشهن، يقلل من ضعفهن في الأوقات العصيبة. وتتذكر السيدة جار الله قائلة:

"كان يقول انه ينبغي أن يكون الدبلوم مع المرأة كالسوار في معصمها . فاذا لم تتزوج، أو اذا ترملت أو طلقت، فان بامكانها أن تكون مستقلة وأن يكون لها عملها وحياتها الخاصة وأن لا تعتمد في معيشتها على والدها أو أخيها"[١٦] .

في المقابلات التي اجريتها مع نساء من هذا الجيل، أكدت كل منهن عمليا أهمية دور التعليم في حياتها . لقد بدأ هذا الميل المميز للتركيز الشديد على التعليم في المجتمع الفلسطيني في وقت مبكر . اذ قام كثيرون من أقارب هؤلاء النسوة الرجال بتشجيعهن على التعليم. كما انتقل عدد لا بأس به من النساء، من مناطق اخرى في البلاد مثل نابلس ويافا والقرى المختلفة الى القدس، لاسباب متعددة كالدراسة في مدارسها . نمرة طنوس، التي أصبحت فيما بعد مشهورة باعتبارها عاملة التلغراف التي كانت تربط اتصالات الجيوش العربية ببعضها سنة ١٩٤٨، كانت من قرية تقع قرب الحدود اللبنانية. لم يكن في قريتها مدرسة ثانوية للبنات، فجاءت الى القدس مع امها واختها، كي تتمكن الفتاتان من مواصلة تعليمهما . ثم عملت بعد ذلك في حكومة الانتداب[١٧] . أما ناهد عبد السجدي من نابلس، فقد التحقت بالمدرسة الثانوية الحكومية الوحيدة في ذلك الوقت، وهي كلية تدريب النساء في القدس، ثم انتقلت فيما بعد الى القدس سنة ١٩٣٤ مع زوجها، الذي عمل مهندسا في دائرة الأشغال العامة[١٨] .

لم تقم الحكومة البريطانية أبدا بانشاء أكثر من مدرستين ثانويتين للبنات طوال فترة حكمها الذي استمر ٣٠ سنة، مما أدى الى التحاق الفتيات بالمدارس الخاصة التي تديرها الى حد كبير الكنائس أو المجموعات التبشيرية. كانت القدس بالتالي مركزا للتعليم، حيث أن معظم المجموعات الدينية أقامت مدارسها فيها، وكان على النساء اللواتي أردن أن يكملن دراستهن العليا أن يغادرن البلاد لتحقيق ذلك. واذا ما أخذنا

بالحسبان، العقبات القائمة في ذلك الوقت، والتي كانت تمنع النساء من الالتحاق بالجامعات بعيدا عن وطنهن، فانه مما يلفت النظر أن عددا لا بأس به من النساء، تمكن من الحصول على التعليم العالي في أماكن كبيروت وانجلترا[١٩].

كانت سعيدة جار الله هي الفتاة المسلمة الأولى التي تسافر الى انجلترا على نفقتها لمواصلة تعليمها سنة ١٩٣٨. فقد بارك والدها مشاركة بناته في النشاطات المختلفة خارج البيت، وعدم ارتدائهن الحجاب. ورغم انهن تعرضن الى بعض الانتقاد بسبب سلوكهن المتحرر، ونشاطاتهن العامة، الا انهن تمتعن بحماية دعمه ومكانته الرفيعة[٢٠].

المهارات التي اكتسبتها النساء، وانفتاح العالم أمامهن من خلال التعليم، كانت كلها عوامل مهمة في تطوير الحركة النسائية، حيث أن الوسائل الأولى التي اتبعتها التنظيمات، اعتمدت كثيرا على الاتصالات الخطية. وكانت النساء المتعلمات هن اللواتي لديهن "حرية اجتماعية أوسع للتنظيم"[٢١]. اضافة الى ذلك فان الروابط الاجتماعية بين النساء اللواتي درسن سويا، استمرت طوال حياتهن، وتطورت لتصبح روابط سياسية أيضا. وقد عزت احدى النساء علاقات العمل الجيدة، والصداقة فيما بين اتباع الديانتين من مسيحيات ومسلمات من هذا الجيل، الى تعلمهن في المدارس سويا.

"لقد علمتنا المدارس أفكارا، كانت لدينا العقلية نفسها"، أضافت قائلة[٢٢]:

"بالفعل، فقد كان تعليم النساء المتزايد موضع جدال، كما كان أيضا ذا تأثير ليبرالي على المجتمع الفلسطيني".

ولقد أثار دور النساء ووضعهن نقاشات حية وجدالا في الصحافة وغيرها . ففي أواخر العشرينات، نشرت صحيفة فلسطين سلسلة من المقالات، كتب بعضها باقلام نسائية تحت عناوين مثل "حقوق النساء وواجباتهن"، و "الحجاب وواجب خلعه" و "ضرورة تحرير المرأة" و "احترام المرأة واجب" . وفي سلسلة طويلة بعنوان "التحجب وعدم التحجب"،

ناقش الكتاب بعضهم مستشهدين بالقرآن وبامثلة من نساء التاريخ العربي لدعم مواقفهم . وكان اولئك الذين يدافعون عن ضرورة خلع الحجاب أكثر عددا من معارضيهم بشكل عام. تم نشر هذه المقالات كلها في فترة زمنية قصيرة، ابتداء من الرابع من آذار سنة ١٩٢٧ وحتى نهاية تلك السنة . وبالتالي كانت هناك عدة مقالات تنشر كل اسبوع، حول مواضيع كهذه. كما نشرت صحيفة فلسطين أيضا، سلسلة من المقالات حول "مشاكل الزواج" في سنة ١٩٢٧ و ١٩٢٨ . وكان الكتاب أحيانا يردون على مقالة منشورة في صحيفة ما، كفلسطين مثلا، في صحيفة اخرى مثل السراط المستقيم. من المحتمل أن يكون عدد قراء الجرائد محدودا خلال هذه الفترة، اذا ما أخذنا بالاعتبار أن معظم السكان كانوا اميين، ومع ذلك فان تغطية الصحف، تشير الى أن موضوع النساء ووضعهن ومركزهن في المجتمع الفلسطيني كانت موضع نقد قاس وعلني. وكما قال أحد الكتاب "لب المسألة هو أن تشارك النساء الرجال في الحياة النشطة والوطنية، كما يفعلن في نواحي الحياة الأخرى"[٢٣] . من المهم عدم اضفاء الصبغة المثالية على الحياة في القدس. فقد أصبحت فترة الانتداب البريطاني بعد كل شيء، فترة يتزايد فيها الصراع السياسي الشديد . فتحت سطح الحياة العادية في القدس، اتقدت التوترات التي ولدتها الوعود المنافقة والمتعارضة والمزدوجة المقدمة لليهود (على

شكل وعد بلفور) وللعرب (كما وردت في مراسلاتها الحسين مكماهون). وكانت تناقضات هذه الوعود، التي لا يمكن التوفيق بينها، مسؤولة عن الصراع السياسي الذي رافق التحولات الأخرى التي حدثت خلال هذه الفترة[٢٤]، والتي شهدت اضطرابات مثل اضطرابات البراق (حائط المبكى) سنة ١٩٢٩، والاضراب والثورة ١٩٣٦-١٩٣٩، وسنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، التي تصاعد فيها العنف اليهودي-العربي حتى بلغ ذروته في النكبة. هذه الاحداث والقلق الشديد وعدم الاطمئنان الى المستقبل، هي التي دفعت النساء الى ممارسة العمل السياسي.

ومع ذلك، فان الكثيرات من نساء هذا الجيل، ينظرن الى هذه الفترة بحنين وباعجاب، اذ يبدو انه رغم العنف والاضطراب، تمت المحافظة على نوع من الاستقرار غير الوطيد، تخللته فترات من الانقطاع وخاصة من ١٩٣٦ وحتى ١٩٣٩. وأخذ هذا الاستقرار بالتفسخ جديا مع اقتراب ١٩٤٧-١٩٤٨. اذ تمكن الناس من العمل والذهاب الى المدرسة والعيش، هذا الى جانب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي وفرت كلها فترة تمكنت النساء العربيات الفلسطينيات خلالها من النمو والتطور نحو آفاق متسعة. اضافة الى ذلك، فان القدس باعتبارها مركزا مدينيا مزدهرا لم توفر فرصا اجتماعية واقتصادية فقط، بل وجوا مناسبا لها. قالت لي اختان من عائلة في القدس من بنات هذا الجيل، وهما تتذكران الحياة في المدينة في تلك الأيام، بأن "القدس ..... كانت شيئا مختلفا، كان الناس منفتحين ولم يكونوا ضيقي الأفق"[٢٥].

الحركة النسائية في القدس في العشرينات والثلاثينات

ما هو التسلسل الزمني لتأسيس الحركة النسائية الفلسطينية ؟؟ وما الذي دفع النساء الى ولوج الساحة العامة والسياسية ؟؟ انشئت التنظيمات النسائية في فلسطين في أوائل القرن العشرين، ومع ذلك فانه من الصعب الحصول على معلومات دقيقة وأولية عن التنظيمات النسائية الأولى، الأمر الذي يؤدي الى روايات متضاربة وغير واضحة، معظمها مراجع مرتجلة. ربما كانت الرابطة الأولى هي جمعية السيدات الارثوذكسيات في يافا، التي اسست سنة (١٩١٠)[٢٦]. وثمة تقارير غامضة عن انشاء رابطة للنساء العربيات في القدس سنة ١٩١٩، وإنشاء ناد للنساء العربيات سنة ١٩٢١، استمر مدة سنة فقط، وهناك ذكر لمجموعات أخرى بدون أسماء وتواريخ محددة[٢٧]. كل هذه على ما يبدو كانت تنظيمات خيرية، غالبا ما كانت تحت اشراف مؤسسات دينية، واحداها كانت شبه حكومية وهي المجلس المشترك لنساء فلسطين في القدس. Inter-Communal Palestine Women's Council رئسته زوجات مسؤولي الحكومة البريطانيات. وقد انضمت بعض النساء العربيات القلائل الى هذا التنظيم، ويبدو أن اللواتي كانت أسماؤهن مدرجة في قائمة الاعضاء كن ذوات تمثيل رمزي، اذ انتهت مشاركتهن في نهاية المطاف[٢٨].

من المؤكد أن النساء العربيات نشطن في مرحلة مبكرة، في مجال الاحتجاج على سياسات الحكومة البريطانية، رغم أن التقارير الخاصة بذلك مختصرة وقليلة. ففي سنة ١٩٢٠ مثلا، بدأت النساء بتحرير احتجاجات الى الحكومة، كمثل ذلك الاحتجاج الذي أرسلته النساء العربيات في الشمال ضد الاستيطان اليهودي، الى مدير Chief Administrator ما كان يعرف بادارة أراضي العدو المحتلة (OET)[٢٩]. وقامت مجموعة من النساء في القدس بجمع تبرعات لتمويل سفر الوفود الوطنية الى الدول المختلفة، لشرح القضية الفلسطينية[٣٠].

لاحظت روز ماري صايغ بذكاء أن "الظهور المبكر للتجمعات السياسية النسائية، يوحي بأن الأزمة الوطنية أثرت مباشرة على النساء بدل أن يأتي هذا التأثير من خلال التنظيمات الرجالية[٣١]. ويتبين نموذج واضح لذلك من خلال دراسة المصادر الخطية المختلفة الخاصة بالتنظيمات النسائية، حيث كانت النساء أكثر نشاطا في الأوقات العصيبة مستجيبات بذلك للوضع السياسي، وكما قالت إحداهن :

> (اذا ما كانت المرأة العربية في فلسطين، تفضل حتى الآن العمل دون أن يراها أحد، فان ذلك يعود الى انها أحست بأن الوقت لم يحن بعد لتخرج من بيتها. إلا أن الحوادث الأخيرة دفعتها الى أن تتقدم الى الامام علنا لتعمل جنبا الى جنب مع الرجل)[٣٢].

هكذا، فقد كانت اضطرابات البراق سنة ١٩٢٩، وما جرى بعدها، هي التي دفعت النساء أولا الى واجهة الأحداث، عندما قمن بعقد مؤتمر النساء العربيات في فلسطين، في القدس في ٢٦ تشرين الأول ١٩٢٩. واعتبرت هذه المناسبة "المرة الأولى"

التي تلج فيها النساء المجال السياسي. فقد أظهرت النساء اللواتي نظمن مؤتمر ١٩٢٩ ولاول مرة، تطورا، ووعيا ذاتيا لدورهن المحدد باعتبارهن نساءا يقمن بعمل سياسي.

من المثير أن نلاحظ أن التقارير الصحفية المختلفة حول المؤتمر، استخدمت عمليا لغة مماثلة في وصفه بأنه "لأول مرة ترفع النساء الفلسطينيات صوتهن احتجاجا" أو "لاول مرة في التاريخ تنخرط النساء العربيات في نشاطات سياسية"[٣٣]. وكانت النساء أنفسهن واعيات جدا لتحديهن التقاليد، وظهورهن في المجال العام. غالبا ما ركزت الروايات عن هذا المؤتمر التي رافقها بعض الغلو على أهميته التاريخية، مما أدي الى التعتيم على حقيقة أن النساء نشطن قبل انعقاده.

انعقد المؤتمر في بيت طرب عبد الهادي زوجة عوني عبد الهادي التي اصبحت فيما بعد شخصية بارزة في حزب الاستقلال وكانت نشطة في المجال السياسي. كانت عضوا في اللجنة التنفيذية للمؤتمر التي تشكلت من ١٤ امراة، هن بالاساس من عائلات القدس المعروفة، مثل عائلات الحسيني والعلمي والنشاشيبي والبديري[٣٤]. وتختلف التقارير حول كيفية تشكيل هذه اللجنة التنفيذية. ففي يوم انعقاد المؤتمر، نشرت صحيفة فلسطين مقالا، ذكرت فيه أسماء أعضاء اللجنة التنفيذية، قائلة أنه تم انتخابهن في اجتماع تمهيدي عقد قبل اسبوع من انعقاد المؤتمر، وانه تمت الموافقة على قرارات معينة في "الاجتماع التمهيدي"[٣٥]. ومع ذلك، فان احدى أعضاء اللجنة، وهي ماتيل مغنم، اوردت في كتابها – المرأة العربية والمشكلة الفلسطينية – بأنه تم انتخاب اللجنة التنفيذية، قبل انتهاء الدورة، وأن القرارات اتخذت في المؤتمر نفسه[٣٦]. علينا أن نقبل رواية صحيفة فلسطين حول نشاطات اللجنة التنفيذية على أنها الرواية الموثوقة، الا اذا كان تاريخ الصحيفة غير صحيح، وذلك لانها سبقت انعقاد المؤتمر

نفسه. ولعل حقيقة أن نساء اللجنة التنفيذية كن قد انتخبن أنفسهن ووضعن قرارات "لاقرارها" في المؤتمر قبل ان يكون قد انعقد اصلا، انما تشير الى مقدار معين من التنظيم البارع من جانبهن. كما أنه لا بد أن تكون احداهن هي التي سربت المعلومات المفصلة التي نشرت في صحيفة فلسطين قبل انعقاد المؤتمر[٣٧]. اذكر هذه الحادثة، لاوضح درجة الحنكة والهيمنة، التي كانت لدى نساء القدس في هذه المحاولة الأولية لتنظيم النساء الفلسطينيات على المستوى الوطني أكثر منه على المستوى المحلي.

تبعت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، زيارة وفد عن المؤتمر الى المندوب السامي لفلسطين السير جون شانسيلور John Chancellor وزوجته في دار الحكومة Government House ، سلمته النساء خلالها قرارات المؤتمر. وكانت هذه القرارات احتجاجات على اعلان بلفور، وعلى الهجرة الصهيونية وتطبيق تشريع العقوبة الجماعية واستبقاء السير نورمان بنتويش Norman Bentwich وهو صهيوني، نائبا عاما، وكذلك على اساءة الشرطة معاملة السجناء العرب، وسلوك السير بيلي Bailey وكذلك السير فاريل Farrell (مسؤولان حكوميان) حين قاما بضرب طلاب في مظاهرة في نابلس، وضد التبرع بعشرة الآف جنيه للاجئين اليهود دون تخصيص مبالغ للاجئين عرب. وفي الاجتماع، طلبت النساء ارسال احتجاجاتهن الى حكومة جلالته في لندن. وكتب شانسيلور في تعليقه على هذه المقابلة قائلا، ان حقيقة كون النساء غير محجبات لتشير الى خطورة المناسبة وانه كانت "تحركهن عاطفة عميقة". استقبلهن بعد المصافحة، ووافق على رفع طلبهن الى الحكومة قائلا لهن بأنه لا يستطيع أن يلغي اعلان بلفور او أن يوقف الهجرة اليهودية، ولكنه "يضع مصالحهن في قلبه" وانه يتعاطف معهن. وخلال جلسة تناول القهوة التي تلت ذلك، رفضت اثنتان منهن شرب القهوة معه، لان

عادة العرب، كما قلن، هي شرب القهوة في بيوت الاصدقاء فقط. وعلق شانسيلور على ذلك قائلا "ان خرق التقاليد العربية القاضية بمجاملة المضيف في بيته، يشير الى شدة العداء الذي يلمس الآن تجاه الحكومة في أنحاء معينة"[٣٨].

استنادا الى رواية مغنم حول الاحداث، التي كتبت فيما بعد، فانه عندما عاد الوفد الى المؤتمر الذي كان ما زال منعقدا وقدم تقريره عن الزيارة، تقرر اجراء مظاهرة في القدس، بحيث تتوقف عند القنصليات المختلفة لتقديم نسخ من قرارات المؤتمر. من المهم مقارنة رواية شانسيلور، حول الأحداث اذ يقول أن النساء أخبرنه اصلا قبيل انعقاد المؤتمر، بأنهن يرغبن في "تنظيم مظاهرة" في بيت الحكومة عندما يسلمنه قراراتهن. أما بقية الرواية فتستحق الاقتباس مطولا :

> (جعلتهن يعلمن بأنه لن يسمح بمثل هذه المظاهرة، ولكنني اوافق على استقبال وفد مفوض عن النساء، وأن استمع الى شكاويهن. كما أجريت محاولات لاستمالة بعض القادة المسلمين لاثناء النساء عن القيام بالمظاهرة. رفضوا التدخل في البداية، ولكن عندما شرحنا لهم بأن المظاهرة ستوقف بالقوة اذا دعت الضرورة، وانهم لن يلوموا الا انفسهم اذا ما اصطدمت النساء بالشرطة، تغيرت الترتيبات. لقد تم الترتيب بحيث ينتقل الجسم الاساس للمؤتمر من مقر الاجتماع الى المسجد الأقصى، حيث تنتظر الاعضاء هناك أعضاء الوفد اللواتي سيلحقن بهن الى المسجد الأقصى بعد اجراء المقابلة معي. ولقد نفذ هذا الترتيب كما ينبغي. وبترتيب مع الشرطة، انتقل الجسم الاساس للمؤتمر الى المسجد بالمركبات عبر طرق ملتوية متجنبا الشوارع الرئيسة)[٣٩].

ومع أن البريطانيين حسبوا حسابا كبيرا لخرق ما اعتبروه "عادات وتقاليد اسلاميه"، الا أن الخرق مع ذلك، لم يبلغ بهم حدا يمنعهم من التهديد باستخدام القوة ضد نساء مسلمات اساسا . . . الى درجة انهم اجبروا الرجال المسلمين على التعاون

معهم لتنفيذ اوامرهم، على شكل حلف ابوي عنيد للسيطرة على النساء. ورغم ان الغربيين رغبوا دائما في توجيه اصبع الاتهام الى الرجال المسلمين بانهم يضطهدون النساء، فان لدينا هنا قضية تظهر بوضوح شيئا مختلفا وأكثر تعقيدا. وقد استمر البريطانيون في واقع الأمر في استخدام استراتيجيتهم هذه في تعاملهم مع النساء العنيدات[٤٠].

وأخيرا، اقتنعت النساء باجراء المظاهرة بالسيارات، التي طافت بهن شوارع القدس، متوقفة عند القنصليات المختلفة. قالت مغنم (في مقابلة معها سنة ١٩٨٥) انهن "مررن بكل انحاء القدس وهن يطلقن ابواق السيارات مما ادى الى تجميع اعداد أكبر من الناس في الشوارع"[٤١].

كان المؤتمر، والاجتماع بشانسيلور والمظاهرة في تشرين الأول ١٩٢٩، بمثابة عود الثقاب الذي اشعل النار في الهشيم، فمنذ ذلك الحين، انخرطت النساء في انحاء فلسطين في النضال الوطني بطرق مختلفة. ومثلت سنة ١٩٢٩ نقطة اللاعودة بالنسبة للنساء الفلسطينيات. كانت نشاطاتهن تشهد مدا وجزرا وفق الاحداث عبر السنين، وعكست تكتيكاتهن واستراتيجياتهن الحقائق السياسية المتغيرة، ومع ذلك، وخلال سنوات العشرينات والثلاثينات، واصلت نساء القدس القيام بدور مركزي في طليعة الحركة النسائية المنتشرة.

بعد انعقاد المؤتمر بمدة قصيرة، قامت متيل مغنم سكرتيرة اللجنة التنفيذية النسائية بالقاء خطاب في بيت لحم، بشرت فيه بالحركة الجديدة قائلة :

(تدخل النساء العربيات مجال السياسة العامة، ويعملن جنبا الى جنب لدعم رجالهن في نضالهم الوطني دفاعا عن الحياة والحرية والاستقلال .... لقد غادرنا بيوتنا الى ساحة الحياة العامة مخالفين بذلك العادات القديمة)[٤٢].

حرك الزخم الناتج عن المؤتمر موجة من النشاطات. ففي ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٩، عقد لقاء في القدس باشراف اللجنة التنفيذية النسائية، وقررت النساء في الاجتماع تشكيل رابطة لسيدات القدس تكون أهدافها "من الناحية السياسية: دعم المطالب الوطنية للجنة التنفيذية الرجالية، ومن الناحية الاجتماعية: دعم الشؤون النسائية العربية ....." وكانت اللجنة التنفيذية هي التي ستوجه شؤون الرابطة، وتعقد اجتماعات لروابط نسائية في فلسطين[٤٣].

ثمة عدم وضوح فيما يتعلق بهذه الفترة وبالمجموعات التي اشير اليها في كل من المصادر الخطية المتوفرة. ويعود جزء من هذه المشكلة الى ادراك تاريخي جاء متأخرا. توجد حاليا مجموعتان نسائيتان في القدس، تعودان بتاريخ تأسيسهما الى سنة ١٩٢٩ وهما الاتحاد النسائي العربي في القدس وجمعية السيدات العربيات في القدس٤٤. وقد نشرت كل منهما كراسات تاريخية، في أوائل سنوات الثمانينات، وذكرتا فيها أسماء النساء المؤسسات، حيث كانت أسماء خمس من هؤلاء النساء المؤسسات مذكورة في القائمتين. وهذا لافت للنظر لعدة اسباب وهي:

(١) ان النساء المؤسسات اللواتي تطابقت اسماؤهن في كلا اللجنتين، هن من بين اكثر النساء بروزا ونشاطا، حيث ذكرت اسماؤهن كثيرا في مقالات الصحف وفي وثائق الحكومة البريطانية مع تفصيلات حول لقاءاتهن مع الحكومة.

(٢) في سنة ١٩٣٨ جرى انشقاق بين النساء على خلفية التنافس بين عائلتي الحسيني والنشاشيبي، رغم تأكيد عكس ذلك، (قالت ماتيل مغنم في مقابلة اجريت معها "كانت النسوة متحدات" و "مثل الاخوات"[٤٥]، وهو امر ربما كان صحيحا على المستوى الشخصي، ومع ذلك حدث الانشقاق). وحسب علمي، لا توجد أي من العضوات المؤسسات من أي من المجموعتين على قيد الحياة الآن، كي تفسر هذا الوضع. ويمكن للمرء أن يستنتج ان النساء لم يكن "فوق السياسة"، وسنرى ان معظم نشاطاتهن كانت مشبعة بالسياسة حتى عندما كن نشطات في الأعمال الخيرية. واصبح هناك مجموعتان بعد الانشقاق وهما الاتحاد النسائي العربي وجمعية السيدات العربيات.

مما يسهم في عدم الوضوح، وجود اشارات عديدة في المصادر الخطية، الى اسماء مختلفة للمجموعات نفسها على ما يبدو، ومن ذلك "لجنة النساء العربيات"[٤٦] و "لجنة السيدات العربيات"[٤٧] "وجمعية السيدات العربيات"[٤٨] "وجمعية النساء العربيات". الشيء المميز على كل حال، هو ان مصطلح "الاتحاد النسائي" لم يستخدم الا بعد سنة ١٩٣٨. وهناك اشارات استمرت وقتا لا بأس به بعد مؤتمر ١٩٢٩، وذلك في الصحف والوثائق الحكومية، الى "اللجنة التنفيذية لمؤتمر النساء (او السيدات) العربيات الأول"[٤٩]، وكان هذا الاسم أحيانا يختصر ليصبح "اللجنة التنفيذية النسائية". واستنادا الى ما قالته مغنم، فقد حلت لجنة النساء العربيات محل اللجنة التنفيذية للنساء العربيات في القدس[٥٠]. ويبدو على كل حال، ان استخدام اسم "اللجنة التنفيذية للنساء العربيات قد انتهى في وقت ما في اوائل سنوات الثلاثينات. هذه الوفرة من الأسماء الواردة في المصادر، تربك محاولة اعادة بناء تاريخ الحركة النسائية خلال تلك الفترة، وخاصة عندما يحاول المرء أن يقتفي اثر اصول وتأثيرات الانشقاق الى

تنظيمين. ومع ذلك، بشكل عام، فانه يبدو أن بامكاننا أن نقرر أنه حتى سنة ١٩٣٨، كانت هناك منظمة نسائية كبرى واحدة في القدس عملت تحت الأسماء المختلفة المذكورة أعلاه كلها، اذ بدأت بنواة اللجنة التنفيذية النسائية التي تحولت بعد ذلك الى منظمة أوسع، مع استمرار هيمنة عضوات اللجنة التنفيذية الأكثر بروزا عليها. ولغرض الوضوح في هذا البحث، فاننا سنشير الى المنظمة برابطة النساء العربيات الى أن نصل سنة ١٩٣٨.

لقد اعتمدت رابطة النساء العربيات منذ تأسيسها على استخدام الكلمة المكتوبة، حيث كانت الكلمة شكل الاحتجاج الأكثر استعمالا لديها. فقد ارسلت عمليا المئات من البرقيات والمذكرات، وكان ذلك احيانا بشكل يومي، الى الحكومة البريطانية والى المتعاطفين في الصحافة البريطانية والجمهور البريطاني، ولجنة الانتداب الدائمة التابعة لعصبة الامم والى الملوك ورؤساء الدول العرب، والى منظمات نسائية اخرى في العالم وخاصة في الشرق العربي.

ربما كان هذا التكتيك في أوائل الثلاثينات عائدا الى وجهة نظر ساذجة معينة لدى العرب، تقول بأن البريطانيين يستجيبون نوعا ما الى مفاهيم العدالة، وخاصة "العدالة البريطانية"، التي كانت غالبا ما يستشهد بها بنغمة اتهامية. قال موسى العلمي، الذي كان السكرتير الشخصي لارثر واكهوب Arthur Wauchope[٥١] في تقرير سري حول "آراء ومشاعر العرب في فلسطين حاليا" "Present State of mind and feelings of the Arabs of Palestine" بأن العرب أظهروا "احتراما وتقديرا" عظيمين للبريطانيين قبل الحرب العالمية الأولى، من خلال اتصالهم بجالية بريطانية صغيرة من "ذوي الميزات

الشخصية الأسمى" . "أن يكون المرء انجليزيا، بالنسبة للعرب، هو أن يكون مثالا للامانة والعدل والشجاعة والاستقامة"[٥٢] . لقد أحس العرب الفلسطينيون بالنتيجة، بانهم تعرضوا للخيانة اكثر من قبل اثناء الانتداب، حين تمسك المسؤولون البريطانيون (رغم ارادة الكثيرين منهم)[٥٣]، بنصوص اعلان بلفور . ومع ذلك، فان فكرة "العدالة البريطانية" عمرّت اكثر من أية حقيقة قد تكون استندت اليها . فرابطة النساء العربيات مثلا، في لقائها مع المندوب السامي حول مظاهرات ١٩٣٣ التي ادت الى سقوط عدد من القتلى برصاص الشرطة قالت، (اننا نطلب منكم باسم الانسانية واسم العدالة البريطانية التي سمعنا عنها كثيرا . . . . ان تصغوا الى توسلاتنا وان تمنعوا الكثير من اراقة الدماء والتعاسة)[٥٤] .

مثل هذه التوسلات بهذا المفهوم، حدثت باستمرار، واخذت تظهر بانها عديمة الجدوى مع مرور السنين، بينما استمرت رابطة النساء العربيات في اللجوء الى استخدامها .

لم تقم رابطة النساء العربيات بتوجيه نداءات من أجل العدالة، ولكنها انشأت مذكرات طويلة ومفصلة، حول مواضيع آنية وملحة مثل اجراءات اغاثة الفلاح، والضرائب، والتمييز ضد الموظفين العرب في الخدمة المدنية والتعليم، وما الى ذلك[٥٥] . وقد شملت الغالبية العظمى من الاحتجاجات الخطية لرابطة النساء العربيات في سنوات الثلاثينات، اوضاع السجناء والمعتقلين. فعندما بدأ اضراب وثورة ١٩٣٦، ازداد عدد هؤلاء السجناء والمعتقلين كثيرا، وتدهورت اوضاعهم الى درجة كبيرة. وقد عملت النساء على المستوى السياسي دون توقف، لتخفيف احكامهم، والعفو عنهم واطلاق سراحهم، محتجات بحدة على الطبيعة غير العادلة للاعتقالات التي جرى الكثير منها

تحت اجراءات قمعية متزايدة، بعد اعلان الحكم العربي سنة (١٩٣٧)[٥٦]. وعلى المستوى الاجتماعي، قدمت رابطة النساء العربيات الدعم الى عائلات السجناء، والى السجناء انفسهم، حيث جمعن التبرعات النقدية والملابس والأغذية وقمن بزيارة السجناء وتقديم الطعام لهم، كما زرن الجرحى وعائلات الشهداء[٥٧].

ومع الوقت اصبحت بعض تكتيكات رابطة النساء العربيات اكثر نضالية، وكان ذلك ثانية، رد فعل على الوضع السياسي. لقد عكست كثافة النشاط النسائي ما كان يجري في فلسطين آنذاك. ففي سنة ١٩٣٣، جرت مظاهرات وطنية كبيرة عديدة برعاية اللجنة التنفيذية العربية، في المدن الكبرى في فلسطين. ولقد ذعر البريطانيون، الذين كانوا ميالين الى تجنب مواجهة "القيم التقليدية" وخاصة تلك المتعلقة بالنساء، حين لاحظوا "مظهرا جديدا مزعجا في هذه المظاهرة (في القدس)، وهو ذلك الدور البارز الذي لعبته فيها النساء من عائلات جيدة، الى جانب نساء اخريات"[٥٨]. وخلال المظاهرات، اشتكت الشرطة من ان النساء "كن مزعجات . . . ويصرخن على (الشرطة) ويلوحن بالمناديل لهم . . . ويخبطن بوابة المكاتب الحكومية"[٥٩]. لم تشارك نساء القدس في المظاهرة وحسب، بل سافرن الى يافا، وشاركن في المظاهرة التي جرت فيها بعد ذلك باسبوعين. وهناك القت ماتيل مغنم كلمة من على احدى الشرفات "اثارت الجمهور" الذي تجمع لدى وصولهن[٦٠].

ومن بين النشاطات الأخرى لرابطة النساء العربيات في الثلاثينات عقد لقاءات عديدة مع مسؤولي الحكومة، للاحتجاج على السياسة البريطانية والهجرة اليهودية، وتهريب اليهود السلاح، واعدام رجال شاركوا في اضطرابات سنة ١٩٢٩، وكذلك المشاركة في المعرض العربي لتشجيع انتاج البضائع الوطنية سنة ١٩٣٢. وخلال الثورة

شاركت نساء القدس في المظاهرات، وانضممن الى الشباب في البلدة القديمة في اجراء مسح للتجار لتطبيق مقاطعة البضائع غير الوطنية[٦١]. كما قمن بتنسيق جمع اموال الاغاثة[٦٢]، وقمن بجمع المال لشراء الاسلحة ببيع مصاغاتهن، وفي بعض الاحيان التبرع باموالهن الشخصية[٦٣]. ولا يبدو انهن انخرطن فعليا في اي قتال، بخلاف نساء بعض القرى، وشاركت الطالبات الشابات سنة ١٩٣٦ ايضا، في نثر المسامير في الشوارع لتعطيل عجلات السيارات العسكرية، ونظمن مظاهراتهن واجتماعاتهن السرية، وغالبا ما عملن بشكل رديف الى جانب رابطة النساء العربيات[٦٤]. وفي سنة ١٩٣٨، اعتقل عدد من النساء بتهم حيازة اسلحة و/او ذخيرة. وقدمت النساء العربيات الاحتجاجات الى الشرطة العسكرية طالبات تخفيض الاحكام وهو امر غالبا ما لم تتم الاستجابة له[٦٥].

اضافة الى نشاطاتهن المحلية، كانت نساء القدس على اتصال واسع بنشيطات عربيات مثل هدى شعراوي في مصر، والمنظمات النسائية المختلفة في سوريا ولبنان والعراق. وعقدت عدة مؤتمرات نسائية في الثلاثينات، احدها في بيروت في نيسان ١٩٣٠، وآخر في دمشق وفي بغداد في تشرين الأول ١٩٣٢. الا ان المؤتمر النسائي الأكبر في الثلاثينات هو مؤتمر النساء الشرقيات للدفاع عن فلسطين الذي انعقد في القاهرة ما بين ١٥–١٨ تشرين الأول ١٩٣٨ بتوجيه من هدى الشعراوي. وجاءت النساء من العراق وايران وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر. ومن بين النساء الفلسطينيات الاثنتي عشرة اللواتي القين خطابات في المؤتمر او قرئت خطاباتهن كانت خمس نساء من القدس . . . وقد حضرت المؤتمر نساء اخريات كثيرات، وتضمنت بعض قرارات المؤتمر بيانا بأن المشكلة الفلسطينية كانت من صنع اوروبا، ولذا فان

على اوروبا ان تتحمل مسؤوليتها في حلها، كما تضمنت مطالبا بانهاء الانتداب على فلسطين واقامة دولة دستورية، والغاء اعلان بلفور، وتوقف الهجرة اليهودية، ومنع بيع الاراضي لليهود والاجانب، ورفض التقسيم وسياسات الحكومة البريطانية، ومطالبا باطلاق سراح السجناء والمعتقلين. اضافة الى ذلك، قرر المؤتمر تشكيل لجان سيدات للدفاع عن فلسطين في البلاد العربية المختلفة، بحيث تلعب اللجنة المصرية الدور التنسيقي المركزي الذي يربط الفروع ببعضها، وكان عملهن هو تطبيق قرارات المؤتمر[٦٦].

بعد هذا المؤتمر، في حوالي سنة ١٩٣٩، انشقت رابطة النساء العربيات الى مجموعتين، وكما ذكرنا اعلاه. لا يعرف الكثير عن هذا الانشقاق، اذ ان معظم المسؤولات قد توفاهن الله. أما الدافع وراء هذا الانشقاق، فقد كان الفئوية السياسية مما ادى الى ان يصبح الاتحاد النسائي العربي نصيرا للحسينية بينما تصبح رابطة النساء العربيات نصيرة للنشاشيبية. وقد كان هناك تنافس ما بين زليخة الشهابي وزاهية النشاشيبي، حول رئاسة رابطة النساء العربيات، مما أسهم ايضا في الانشقاق. وتقول الموسوعة الفلسطينية، ان معظم فروع رابطة النساء العربيات، تحولت الى اتحادات نسائية، بينما ظل فرع القدس تحت الاسم الأول، وعمل جنبا الى جنب مع الاتحادات النسائية[٦٧]. كما تقول الروايات المختلفة انه منذ الانشقاق، اتجه الاتحاد النسائي العربي الذي رئسته فيما بعد زليخة الشهابي، ليصبح منظمة سياسية اكثر من ذي قبل، بينما ركزت رابطة النساء العربية اساسا على الاعمال الخيرية. ورغم ان الناس الذين اجريت مقابلات معهم كانوا ما زالوا مترددين في الحديث عن الانشقاق بعد مضي اكثر من خمسين عاما، الا ان احدى النساء علقت قائلة بأن المجموعتين كانتا "تحترمان بعضهما" وبالفعل فان هناك تقارير صحفية عن مشاركتهن في نشاطات موحدة[٦٨].

الساحة السياسية. وعلينا ان نؤكد ان وضعهن الطبقي قد لعب بلا شك دورا حاسما في تمكينهن من الوصول الى معلومات سياسية ايضا. كما ان احد الاوجه الأخرى لوجودهن في القدس، كان وجود كبار مسؤولي الحكومة فيها، اولئك الذين كان بالامكان استهدافهم والتوجه اليهم لتقديم الشكاوي. كانت الكثيرات منهن ايضا متزوجات الى رجال يعملون في حكومة الانتداب او انهم اقرباء لهن. كما كان بامكانهن استخدام وسائل الاتصال كمكاتب البرق ومرافق اخرى مرتبطة بالعالم الخارجي.

مرة اخرى، لعب مستوى تعلمهن العالي دورا حساسا في مسألة تسييسهن، حيث ان الكلمة المطبوعة شكلت جزءا كبيرا من اشكال نشاطاتهن الاحتجاجية. ويبدو انهن استخدمن الصحافة بشكل واسع، وحظين بتغطية ودعم واسعين في الصحافة المحلية. لقد ركزن بالفعل على اسلوب كتابة الاحتجاجات الى حد ان هذا الاسلوب بدا مع مرور الزمن، وكأنه غير فعال، وانه قد ضلل نضالهن. كما قامت مجموعات اخرى بتطوير تكتيكات اكثر اصالة وجذرية فيما بعد، مثل القيام بالشراء الفعلي للارض بانفسهن، كما فعل الاتحاد النسائي العربي في حيفا، الذي كان نشطا جدا[٧١]، وذلك بدل ان يقمن بنشر المذكرات التي تحتج على بيع الارض لليهود.

في اواخر الثلاثينات، تجندت تنظيمات نسائية كثيرة في مدن وبلدان فلسطين الأخرى، واصبحت مسيسة على مستوى عال مثل تنظيمات القدس. لقد انطلقت نساء القدس ابتداءا، لانشاء فروع لرابطة النساء العربيات في القرى والبلدان المختلفة، ومع ذلك، فانه لا يبدو ان المحاولة كانت منسقة او منظمة جيدا. ولربما قامت النساء من مناطق اخرى بتنظيم انفسهن، رغم ان هناك مناسبات عديدة، ساعدت فيها

نساء القدس على ذلك. كما شهدت سنوات الثلاثينات نمو الراديكالية في المجتمع الفلسطيني، وكانت التنظيمات النسائية في اغلب الاحيان في الطليعة. كما كانت تنظيمات حيفا ويافا مناضلة بشكل خاص، اذ كانت المرأة الأولى التي يلقى القبض عليها وتعتقل دون محاكمة لاسباب سياسية، هي سائدة نصار، السكرتيرة النارية لاتحادات النساء في حيفا، وزوجة نجيب نصار محرر صحيفة الكرمل.

يمكن للمرء ان يتبين تشابها بين الفروع المختلفة وبين فرع القدس، كما يمكن ان يتبين علامات تنافس بل واستياء أيضا بين الاتحادات المختلفة فيما يتعلق بالدور المهيمن الذي قام به فرع القدس. وقد وبخت صحيفة السراط المستقيم نساء يافا لانهن لم يعملن لمصلحة البلاد كنظيراتهن المقدسيات[٧٢]. ولاحظ كاتب مقال في صحيفة فلسطين مدافعا، بان الاتحاد النسائي في عكا لم يكن "اقل من اتحاد القدس في نشاطاته"[٧٣]. ومع ذلك ففي مقالة اخرى في الكرمل، يمتدح الكاتب النساء لانهن ينأين بانفسهن عن فئوية الرجال وشجاراتهم، وكان ذلك سنة ١٩٣٥، أي قبل اشتداد الفئوية الناجمة عن الثورة[٧٤]. وبالرغم من بعض الانعكاسات لفئوية الحركة الوطنية داخل الحركة النسائية، الا انه يبدو بأن هذه الفئوية لم تلعب الدور المدمر نفسه الذي جرى للرجال، كما لا يبدو بانها كانت من الخصائص المسيطرة في الحركة.

ويثير هذا اسئلة تتعلق بطبيعة العلاقة بين الحركة النسائية وبين الحركة الوطنية (الذكورية)، وهو موضوع يصعب الحصول على معلومات مادية حوله. هنالك تصريحات للنساء عن رغبتهن في "دعم الرجال"[٧٥]، وهناك اثبات غير مباشر بأنه ربما كان قد تم نوع من التنسيق، اذ شاركت النساء مثلا في المظاهرات التي اعلنتها اللجنة التنفيذية

العربية سنة ١٩٣٣، وشاركن في مشاريع دعت اليها الحركة الوطنية، مثل المقاطعة والمعرض العربي والصندوق القومي. وفي تقرير سري حول صناديق دعم الاضراب يصف البريطانيون اللجنة النسائية بانها تعمل تحت امرة اللجنة الوطنية المحلية[٧٦]. وهناك اشارات ومؤشرات تدل على وجود دعم وحوار متبادل، رغم ان دعم الرجال للنساء كان يتصف بصمت أكبر. وفي سنة ١٩٣٣، دافع أسعد الشقيري عن النساء عندما تعرضن للانتقاد لمشاركتهن في مظاهرات ١٩٣٣، بان كتب مقالا ذكر فيه امثلة من القرآن الكريم والحديث النبوي ليبرهن على ان "الرجال والنساء متساوون في جميع نواحي الحياة والدين . . . في حقوقهم وواجباتهم"[٧٧]. كما اشتبك جمال الحسيني واسمى طوبي على صفحات الجرائد فترة قصيرة سنة ١٩٣١، حيث ردت طوبي على توبيخ الحسيني النساء لعدم دعمهن المقاطعة، بان اتهمت التجار العرب بالجشع والاستفادة من الوضع برفع الاسعار. وكان رد الحسيني استرضائيا بل ومتملقا[٧٨].

تقول ماتيل مغنم ان النساء "وحدن صفوفهن مع اللجنة التنفيذية للرجال" وأن هذه الأخيرة تقوم بفحص المذكرات التي تكتبها النساء[٧٩]. ومع ذلك فان البينات في الوثائق البريطانية تشير الى ان الرجال حاولوا ممارسة سياسة كف الايدي، علنا على الأقل. واذا ما اخذنا بالاعتبار العلاقات العائلية بين المجموعتين، فانه من الصعب عدم الوصول الى نتيجة تقول بأنه كان هناك مقدار كبير من تبادل الأفكار على الأقل. ومع ذلك، فان الروايات العديدة للنساء في الصحافة والارشيف تظهر بانهن عملن بالاساس على اعتبار هذه التنظيمات هي تنظيماتهن الخاصة بهن.

ومع ذلك، فعن وعي او غير وعي لجأت النساء الى "جنسهن" للتصرف بطريقة تخريبية في النضال الوطني. ان حقيقة اختيارهن لاشكال المقاومة التي اخترنها، انما تشير الى التقييدات و "الاصالة" كما تقول روز ميري صايغ[٨٠]. لقد احتججن غالبا على عدم احترام الحكومة "لتقاليدهن" – كما ورد في شكوى الى سكرتير المستعمرات سنة ١٩٣٦، بخصوص قيام القوات بتفتيش النساء قائلات بان هذا التفتيش "مناف للعدالة والتقاليد العربية المقدسة"[٨١]. ومع ذلك كن يرغبن في استعمال هذه "التقاليد" كلما راق لهن ذلك. ومثال ذلك ان وجيهة الحسيني كانت تخبىء الاسلحة تحت مقعدها عندما كانت تركب السيارة برفقة خطيبها آنئذ عبد القادر الحسيني، مدركة ان البريطانيين لن يفتشوا الجهة التي تجلس فيها من السيارة، وذلك احتراما للنساء[٨٢]. ولعل مما له مغزى أن النساء المسيحيات مثل مغنم، كن يسارعن الى استخدام شكوى "التقاليد" كالنساء المسلمات، في محاولة لاكراه البريطانيين وتخويفهم، وقد لفتت النساء الانتباه الى جنسهن في بياناتهن المنشورة، وفي مذكراتهن ومقالاتهن الصحفية وركزن على ذلك، وغالبا ما كن يتلفظن بعبارة "لاول مرة . . . النساء العربيات . . . ."[٨٣]. وبالامكان الظن انهن قدرن بدقة كبيرة بانهن، باعتبارهن نساء، يمكنهن ان يعممن قضيتهن ويجعلها اكثر دراماتيكية، وان يؤثرن فيها باستعمال المميزات الجنسية لاغراض سياسية.

ان مؤرخي النساء بحاجة الى فحص افكار المساواة بين الجنسين والافكار الوطنية بدقة في العالم الثالث. وينتقد نشطاء حركة المساواة بين الرجال والنساء والباحثون ايضا، نساء هذا الجيل لمحافظتهن، وقيمهن البرجوازية وعدم اهتمامهن بتحدي النظام الاجتماعي القائم[٨٤]. ومع ذلك، فان على المرء ان يأخذ الظروف

التاريخية بالحسبان. فقد مرت فترة الانتداب البريطاني في نهاية الأمر بتحولات عميقة واضطرابات في المجتمع الفلسطيني، وكانت المسالة الأكثر الحاحا هي المسألة الوطنية، والقضية في نهاية المطاف ما اذا كان المجتمع العربي الفلسطيني سيتمكن من البقاء في ظل اي نوع من النظام الاجتماعي ام لا.

وتقول النساء الفلسطينيات من هذا الجيل، بانه كان من الصعب عليهن ان يفكرن بالمطالبة بحقوقهن من الرجال في وقت لم يكن للرجال فيه اية حقوق. هناك تعريف ضيق للمساواة بين الرجال والنساء، يكمن وراء هذه التعليقات التي تعكس تصورات محدودة للمساواة، التي تشكل الحقوق "السياسية" التي جرى تعريفها ابتداء بانها حق الاقتراع. هناك حاجة الى اجراء تحليل للعثور على عناصر اخرى تلعب دورا في قمع النساء والحد من خياراتهن، مثل العائلة او قوى محركة اجتماعية داخلية اخرى. تشربت النساء من خلال تعليمهن بالافكار الغربية التي ركزت على قيم معينة مثل الديموقراطية التمثيلية والمواطنة، مصورة اياها بانها عالمية، بدون اجراء تحليل لكيفية تداخل هذه المفاهيم مع الوضع السياسي والثقافي الفلسطيني المعين. وحاولت النساء الفلسطينيات، المحافظة على طريقة للحياة، وعلى اطار اجتماعي يتعرضان للتهديد على أيدي حركة سياسية منافسة، الا وهي الصهيونية. ان حقيقة تحركهن اصلا، بطرق تحدت الافكار الابوية الخاصة "بالتقليد" و"الاحترام"، شكلت في حد ذاتها تحديا ممكنا للقوى نفسها التي سعت الى المحافظة عليها، كما شكلت تهديدا لها. لم تلاحظ النساء هذا التناقض في اغلب الاحيان، وبدل ذلك ساوين بين التحرر الوطني وتحرر المرأة، ورأين ان اصلاح وضع النساء يمكن ان يتحقق من خلال اقامة حكومة وطنية تستمد سلطتها وشرعيتها من الشعب. تقول مغنم في كتابها "لو كان لفلسطين

مجلس تشريعي منتخب من الشعب، لكان بامكانه ادخال اجراءات اصلاحية كهذه دون ان يعرض نفسه للنقد او الهجوم". ويعكس هذا فكرة ساذجة ومثالية جدا لدى القوى الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تقف خلف الدعوة للتشريع[٨٥].

لقد ادرك الباحثون في امور العالم الثالث، عند اعادة دراسة العلاقة بين النضال النسائي من اجل المساواة وبين النضال الوطني، ان النساء اللواتي يعشن تحت الهيمنة الامبريالية او الاستعمارية، لا يقمن بتعريف انفسهن بالضرورة استنادا الى جنسهن فقط، ومن المهم لاجل فهم النشاط النسائي في ظل الاستعمار او الامبريالية، ان نفهم "فكرة القوة التي لا تعمل من خلال منطق التعريف (الجنسي)، بل من خلال منطق المعارضة" لاطر السيطرة الاستعمارية[٨٦]. علينا ان نأخذ هذه المفاهيم بالحسبان عند تقييم الحركة النسائية الفلسطينية خلال هذه الفترة، ضمن سياقها التاريخي الخاص بها.

الهوامش

١- Scott, Joan Wallach, Gender and the Politics of History, (New York, Columbia University Press, 1988), 18.

٢- هذا التعليق قدمه الي صديق فلسطيني اثناء قيامي بهذا البحث، عندما سألته، اذا ما كانت امه تتذكر فترة الانتداب. اجابني قائلا "عليك ان تتحدثي الى والدي. فان امي لا تتحدث جيدا كما يفعل هو. الى جانب ذلك، فان النساء لم يفعلن شيئا".

٣- Scott, Gender, 17.

٤- استخدمت هاله السكاكيني هذه العبارة لتصف دور عمتها ميليا السكاكيني، التي كانت نشطة في الاتحاد النسائي العربي، عندما زارت صديقاتها النساء المسلمات الأكثر عزلة، وهيأت لهن (كوة على العالم) بوصفها العروض المسرحية او المناسبات الأخرى التي شاهدتها. المقابلة اجريت في رام الله ١١ ايلول ١٩٩٢.

٥- Scholch, Alexander, "Jerusalem in the 19th Century (1831-1917 AD)," Jerusalem in History, K.J. Asali, ed., Brooklyn, Olive Branch Press, 1990, 233.

٦- Ibid., 236-239.

٧- أعني هنا "وطنية" بمعنى ان حكومة الانتداب البريطاني لعبت دور حكومة دولة، وحكمت على منطقة رغم انها من ناحية سياسية ليست دولة، الا انها تشتمل على صفات دولة.

٨- Bernard Wasserstein, The British in Palestine, The Mandatory Government and the Arab-Jewish Conflict, 1917-1929, 2nd edition (London, Basil Blackwell, Ltd., 1991), 2.

٩- Millicent Garett Fawcett, Six Weeks in Palestine, 2 Vols. London, Women's Printing Society, 1921 and 1922, vol. II, p. 52-53.

١٠- اشير هنا الى العمل المأجور، حيث أن معظم النساء الفلسطينيات عملن بالتأكيد، وخصوصا دون اجر وباشكال اقتصادية غير معترف بها، في مجالات مثل العمل البيتي والعمل الزراعي في مزارع عائلاتهن.

١١- من المهم ان نلاحظ ان البريطانيين شاركوا في ممارسات تمييزية ضد النساء العربيات بوصفهن نساء وبوصفهن عربيات. ارجع الى ملفات وزارة الخارجية رقم ٣٧١١٠٠١١٨ الخاص بعدم سماحهم للنساء بممارسة المحاماه، ارشيف دولة اسرائيل RG2، ملف U/365/40، الخاص بتمييزهم ضد تعيين طبيبة عربية واسمها شارلوت سابا. (الموضوع هنا يتعلق بكونها عربية وليس بكونها امراة).

١٢-نبيهة عودة سافرت يوميا بالحافلة من رام الله الى القدس، حيث كانت تعمل كاتبة اختزال في دائرة الشرطة، كما انها قامت بذلك سنة ١٩٣٨ اثناء الثورة، وكان من الخطر التواجد في الشوارع في ذلك الوقت. المقابلة جرت مع المرحومة اليـن منصور (اختها) في رام الله، ٥ أيلول ١٩٩٢.

١٣-رسالة مرفقة بتقرير مرسل من المندوب السامي لفلسطين ارثر واكهوب الى وزير المستعمرات W.G.A. Ormsby-Gor في ٢٦ آب ١٩٣٦، CO 733 291/4 - 75080/4.

١٤-رسالة الى مدير الخدمات الطبية من السير ارثر رونتري Sir Arthur Rowntree، في ١١ تشرين الثاني ١٩٣٤. ارشيف دولة اسرائيل RG 1073/2 حول الحاجة الى طبيبات، ورسالة الى وزير المستعمرات من ارثر واكهوب، المندوب السامي، حول رغبته في تدريب طبيبات عربيات في بيروت، ٣٠ كانون الثاني، CO 733 277/11.

١٥-كان ذلك حسام الدين جار الله، الذي كان منافسا ذات يوم للحاج امين الحسيني على منصب المفتي، ورئاسة المحاكم الشرعية ص ١٠٠ Wasserstein, British in Palestine.

١٦-مقابلة مع سعيدة جار الله، القدس ١٩ نيسان ١٩٩٤.

١٧-مقابلة مع نمره طنوس، عمان ٢٦ كانون الثاني ١٩٩٣.

١٨-مقابلة مع نهاد عبده السجدي، عمان ٢٨ كانون الثاني ١٩٩٣.

١٩-بعض الأمثلة: تدربت شارلوت سابا طبيبة في جامعة لندن، برقية من وزير المستعمرات الى الموظف الاداري للحكومة ٤ كانون الثاني ١٩٤٥، ارشيف دولة اسرائيل RG 2 U/365/40. ووداد خوري درست في الجامعة الاميركية في بيروت "الطالبات في الجامعة الاميركية في بيروت" ١٩٢٩ (مقالة). Middle East Center, St. Anthony's College, Oxford. وسلوى نصار درست في كلية سميث في بعثة لدراسة العلوم، من مذكرات هاريت ولسن Harriet Wilson، مركز الشرق الأوسط كلية سان انتوني، اكسفورد. نهيل هبوب الدجاني تخرجت في طب الاسنان من الجامعة الاميركية في بيروت وتدربت في القدس، صحيفة فلسطين، ٤ ايلول ١٩٣٢. كما التحقت العديد من النساء اللواتي اجريت مقابلات معهن بمن فيهن هالة ودميه سكاكيني كلية بيروت للنساء في سنوات الثلاثينات والاربعينات.

٢٠-مقابلة مع سعيدة جار الله، القدس، ١٩ نيسان ١٩٩٤.

٢١-Rosemary Sayigh, "Palestinian Women, Triple Burden, Single Struggle", Peuples mediterraneens 44-45 (July-December 1988), 249.

٢٢-مقابلة مع وداد قعوار، عمان، ٢٣ كانون الثاني ١٩٩٣.

٢٣-"النساء وخلع الحجاب – القبعة والطربوش"، صحيفة فلسطين ٧ أيار ١٩٢٧، (الاشارة هنا الى صحيفة فلسطين العربية الصادرة في يافا. كانت هناك نسخة انجليزية منها استمرت بضع سنوات فقط. انظر ادناه ايضا.

٢٤-تركز معظم الروايات عن القدس خلال فترة الانتداب، تركز اولا على التوترات الدينية والعنف وعلى الحوادث السياسية مثل اضطرابات البراق ١٩٢٨-١٩٢٩، ومظاهرات ١٩٣٣ والاضراب والثورة ما بين ١٩٣٦-١٩٣٩. انظر مثلا "Michael Hudson, "The Transtormation of Jerusalem, 1917-1987. وكذلك في كتاب عسلي Jerusalem in History صفحة ٢٥٢-٢٥٦. للتاريخ الاجتماعي، ينبغي الاعتماد على المذكرات، مثل مذكرات هاله السكاكيني القدس وأنا Jerusalem and I، عمان شركة المطبعة الاقتصادية ١٩٩٠، أو

John Melkon Rose's: Armenians of Jerusalem: Memories of Life in Palestine, London: Radchiffe Press, 1993. لقد اعتمدت الى درجة كبيرة على مقابلات اجريتها مع اناس من سكان القدس ما بين ١٩٩٢-١٩٩٤.

٢٥-احاديث مع هاله ودميه سكاكيني، رام الله، من ايلول ١٩٩٢ وحتى حزيران ١٩٩٤. هذه الاقتباسات من زيارات في ٢٨ ايلول ١٩٩٢ و ٦ ايار ١٩٩٤.

٢٦-مذكرات غير منشورة لعادل عازر ٢٠ كانون الأول ١٩٦٥، تفضل بتقديمها الى الكاتبة حنا ناصر.

٢٧-Matiel Mogannam, The Arab Woman and the Palestine Problem (London: Herbert Joseph, 1937), 55, 61-63.

"الاتحاد النساني العربي في القدس، اليوبيل الذهبي ١٩٨٠" (كراس بالعربية): القدس ١٩٨٣. ص ١٨.

٢٨-Palestine Women's Council Report 192-1922 ارشيف دولة اسرائيل ٦٥، ملف ٣١١٧.

٢٩-رسالة الى الرئيس الاداري من النساء العربيات في الشمال، ٢٣ آذار ١٩٢٠، ارشيف دولة اسرائيل ٢، رقم ١/٣٠. كانت فلسطين تحت ادارة عسكرية منذ كانون الأول ١٩١٧، عندما دخل الجنرال اللنبي القدس، وحتى تموز ١٩٢٠.

٣٠-"الاتحاد النساني العربي" ٢٠.

٣١-Sayigh, "Palestinian Women, Triple Burden", 248.

٣٢-Filastine (English), Aug. 1, 1931.

٣٣-من مرآة الشرق، ٢٨ تشرين الأول ١٩٢٩ وفي فلسطين بالانجليزية، ٢ تشرين الثاني ١٩٢٩. وكذلك من مجلة النساء المصريات فتاة الشرق نشرت مقالا في تشرين الأول ١٩٢٩ كان حرفيا تقريبا كمقال نشر في صحيفة فلسطين.

٣٤-Moghannam, The Arab Women, 76.

٣٥-Filastin (English), Cot. 26, 1929.

٣٦-مغنم The Arab Woman صفحة ٧٠. ومرآة الشرق، وهي صحيفة من القدس نشرت في ٢٨ تشرين الأول ١٩٢٩ وذلك بعيد المؤتمر، بان اللجنة التنفيذية انتخبت بعد ان عاد وفد من

وزارة المندوب السامي. ويختلف هذا المقال ايضا عن كل الروايات الخطية الأخرى فيما يتعلق بمادة القرارات الصادرة عن المؤتمر. ان كتاب مغنم هو فعليا السجل المكتوب الوحيد الذي كتبته احدى المشاركات حول تنظيم المؤتمر وبداية رابطة لجنة النساء العربيات كما كانت تدعى في اغلب الاحيان. لقد كانت خصوصياتها غامضة ومبهمة في اغلب الاحيان، مما ترك اسئلة عديدة دون اجابة. لم اتمكن من العثور على مواد مؤرشفة.

٣٧-هذه النقطة محيرة ومثيرة. كانت ماتيل مغنم صديقة حميمة لعائلة العيسى التي كانت تملك وتصدر جريدة فلسطين العربية (مقابلة مع رجا العيسى في عمان، ٢٦ كانون الثاني ١٩٩٣). بعض المقالات التي نشرت في النسخة الانجليزية لهذه الصحيفة التي استمرت من ١٩٢٩-١٩٣١ تشبه حرفيا تقريبا مقاطع من كتاب مغنم. اضافة الى ذلك فقد ساعدت هي ورابطة النساء صحيفة فلسطين الانجليزية ماليا، كما نشر في عددها الصادر في ٨ آب ١٩٣١. كما ان مغنم نشرت اعلانا على صفحة كاملة تناشد فيه تقديم تبرعات للصحيفة.

٣٨-رسالة سرية، ٣١ تشرين الأول ١٩٢٩ من السير جون شانسيلور John Chancellor الى اللورد باسفيلد Lord Passfield وزير المستعمرات، من الاوراق الشخصية للسير جون روبيرتس Sir John Roberts، Rhodes House, Oxford باذن من ابن المؤلف.

٣٩-المصدر نفسه.

٤٠-ظهرت مقالة مثيرة جدا في صحيفة فلسطين في ١٤ أيار ١٩٣٦، تصف كيف حاولت الحكومة البريطانية منع نساء يافا من الاجتماع بحجة عدم وجود تصريح لديهن. وقمن بالتالي بالذهاب الى حاكم المدينة ومساعد مفتش الشرطة وهما من العرب طالبات منهما التدخل ومناقشة الشروط التي يمكنهن من الاجتماع بموجبها. وكانت احدى هذه الشروط تنص على ان "تلتزم اللجنة بمنع الجمهور من الاختلاط بالنساء عند وصولهن وعند خروجهن من الاجتماع". وهنا يفرض البريطانيون "تقليدا" على مجتمع عربي بمنع اختلاط الجنسين، ومن المحتمل جدا ان الحكومة خشيت حدوث مظاهرة ... وهو حادث كان كثير الحدوث عندما كانت النساء يصلن الى الشارع، اذ كان الشباب يبدأون المظاهرة تجاوبا معهن واعجابا بهن.

٤١-مقابلة مع ماتيل مغنم اجرتها جولي بيتيت Julie Peteet وروز ماري صايغ، في واشنطن دي.سي، في ١٠ آب ١٩٨٥، نسخة تلطفت بتقديمها السيدتان اللتان اجرتا المقابلة.

٤٢-السراط المستقيم، ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٩.

٤٣-المصدر نفسه، ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٩.

٤٤-هذه ترجمتي لاسماء المجموعات مباشرة من اللغة العربية، جمعية السيدات العربيات في نشرتها لسنة ١٩٨٠ "جمعية السيدات العربيات"، المكونة من تاريخ المنظمة، تترجم اسمها بجمعية النساء العربيات، بالعربية هي سيدات وليس نساء على كل حال. وكما سنرى فيما يلي، فان هذا الخلط هو نتيجة استخدام معين للغة.

٤٥-مقابلة مغنم ١٩٨٥.

٤٦-مثلا، في رسالة من لجنة النساء العربيات الى المندوب السامي في ٢٥ تموز ١٩٣٦، يأسفن فيها لتصرفات الحكومة اثناء الاضراب، وزارة الخارجية ٣٧١٢٠٩٢٩ كثير من مراسلاتهن مع الحكومة موقعة بلجنة النساء العربيات.

٤٧-مثلا، في مقالة بعنوان "بين لجان السيدات العربيات"، صحيفة الدفاع، ٢٧ ايار ١٩٣٤، وفي فلسطين في مقالة بعنوان "دعوة لجنة السيدات العربيات، ١٠ تموز ١٩٣٢.

٤٨-مثلا، في مقالة بعنوان "جمعية السيدات العربيات وقراراتها" صحيفة فلسطين، ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٠. اختلفت الحكومة البريطانية أيضا في استخدام الاسماء المختلفة، ففي ملاحظات حول مقابلة بين المندوب السامي ووفد من النساء في ٣٠ تشرين الأول ١٩٣٣، فانه اشير اليهن باعتبارهن رابطة السيدات العربيات، CO 733/239/5.

٤٩-مثلا، هذا الاسم هو الاسم الذي استخدمته النساء في مذكرة طويلة ومفصلة ارسلت الى اللجنة الدائمة للانتداب، ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٢، CO 733/22.

٥٠-Moghannam, The Arab Women, p. 81.

٥١-المندوب السامي من ١٩٣١-١٩٣٧.

٥٢-رسالة سرية الى وزير المستعمرات من المندوب السامي في فلسطين، ٢٣ كانون الأول ١٩٣٣ - CO 733-257/11.

٥٣-انظر Wasserstein, British in Palestine، الذي تعتبر اكبر طروحاته هي تردد ونفور المسؤولين البريطانيين من الرتب الأعلى في فلسطين في تطبيق روح اعلان بلفور وتطوير المشروع الصهيوني. لقد اشتبكوا في صراع مع وزارة المستعمرات في لندن حول الموضوع. بيناته ليست مقنعة تماما.

٥٤-ملاحظات من المقابلة منحها المندوب السامي الى وفد من السيدات العربيات يوم الاثنين، ٣٠ تشرين الأول ١٩٣٣ CO 733 239/5 الجزء الثاني.

٥٥-مذكرة اللجنة التنفيذية للمؤتمر الأول للنساء العرب في فلسطين. الى اللجنة الدائمة للانتداب والمندوب السامي، ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٢، CO 733221.

٥٦-".... فرضت المحاكم العسكرية عقوبة الاعدام على الرجال الذين وجد في حوزتهم بنادق او قنابل، وهدمت بيوت اطلقت منها النار عليهم ... واعتقل اناس بدون محاكمة (اكثر من خمسة الآف كانوا قيد الاعتقال في ١٩٣٩) ... وشنت اكثر من مئة شخص"،
Ann Mosely Lesch, Arab Politics in Palestine, 1917-1939 (Ithaca: Cornell University Press, 1979), صفحة ٢٢٥.

٥٧-انظر الصحافة العربية ما بين ١٩٣٦-١٩٣٩ تقارير كثيرة حول مثل هذه الاعمال.

٥٨-رسالة سرية الى وزير المستعمرات من المندوب السامي، ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٣، 733 239/5 مكتب المستعمرات.

٥٩-الجريدة الرسمية لفلسطين، ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٣، ملحق: تقرير المندوب - مكتب المستعمرات ٧٣٣٣٤٦/٨.

٦٠-"اضطرابات في يافا في ٢٧ تشرين الأول، واحداث ادت اليها وتبعتها". (تقرير غير معروف كاتبه).
مكتب المستعمرات ٧٣٣٠٢٣٩/٥ الجزء الثالث.

٦١-المصدر نفسه، ٢ آب ١٩٣٨.

٦٢-"Palestine, General Strike Finances", 14 July 1936, CZA RG 25S 22768.

٦٣-مقابلة مع موسى الحسيني (حول امه وجيهه زوجة عبد القادر)، عمان ٢٤ كانون الثاني ١٩٩٣.

٦٤-مقابلة مع سلمى الحسيني ١٩ نيسان ١٩٩٣.

٦٥-انظر صحيفة فلسطين، شباط ١٩-٢٠ / ١٩٣٨، ١٣ نيسان ١٩٣٨، و ١٥ نيسان ١٩٣٨، و ٢١ حزيران ١٩٣٨.

٦٦-"المرأة العربية والمسألة الفلسطينية، مؤتمر النساء الشرقيات، انعقد في مقر اتحاد النساء المصريات في القاهرة، من ١٥-١٨ تشرين الأول، ١٩٣٨". القاهرة ١٩٣٨. منشورات مؤتمرات (بالعربية) ص ١٧٠-١٧٢.

٦٧-الموسوعة الفلسطينية (بالعربية)، مجلد ٤، الطبعة الأولى (دمشق: رابطة الموسوعة الفلسطينية ١٩٨٤) ص ٢١٦.

٦٨-مقابلات مع سلمى الحسيني، ١٩ نيسان ١٩٩٣، وسماح نسيبة، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٩٣ وسعيدة جار الله، ١٩ نيسان ١٩٩٤.

٦٩-انتخبت اللجنة التنفيذية العربية في المؤتمر العربي الثالث المنعقد في ١٩٢٠. استمرت حتى آب ١٩٣٤، وقد مرت بها مشاكل مختلفة وكبيرة خلال السنوات بما في ذلك اشتداد معارضة (المجلسيون المعارضون) في اواخر تلك المدة. وفي ١٩٢٨-١٩٣٠. تمكنت من المحافظة على توازن غير مستقر بين الفئات كلها. انظر Arab Politics, Lesch ص ٩٥-١١٠.

٧٠-المصدر نفسه ص ١٠١.

٧١-فلسطين ١٣ حزيران ١٩٤٧.

٧٢-السراط المستقيم، ٦ شباط ١٩٣١.

٧٣-فلسطين، ١٣ كانون الثاني ١٩٤٠.

٧٤-الكرمل، ٢٥ آذار ١٩٣٥.

٧٥-Moghannam, The Arab Women, 82.

٧٦-تقرير سري من المندوب السامي الى وزير المستعمرات ١٦٢ تموز ١٩٣٦، الارشيف الصهيوني المركزي .RG. 25S 22768

٧٧-فلسطين، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٣٣.

٧٨-المصدر نفسه، ١٠ تشرين الأول ١٩٣١، و ١٤ تشرين الأول ١٩٣١.

٧٩-Moghannam, interview, 1985.

٨٠-Sayigh, "Palestinian Women": Triple Burden" 248.

٨١-برقية من لجنة النساء العربيات الى وزير المستعمرات ١٩٣٦، مكتب المستعمرات 371 20023.

٨٢-مقابلة مع موسى الحسيني ١٩٩٣.

٨٣-فلسطين (بالانجليزية)، ٢٦ تشرين الاول ١٩٢٩.

٨٤-اصلاح جاد "دور المرأة المقدسية في الدفاع عن الهوية العربية لمدينة القدس"، وهي دراسة قدمت في مؤتمر اليوم الخاص بالقدس في عمان ١٠-١٣ تشرين الأول ١٩٩٢ ص ٢.

٨٥-Filastin (English), Oct. 26, 1929.

٨٦-Islah Jad, "Dawr al-mar'a al-muqqadasiyya Fil-difa an al-hawiyya al-arabiyya li madinat al-quds", paper presented at the Jerusalem Day conference in Amman, Oct. 10-13, 1992, p. 3.

٨٧-Moghannam, The Arab Woman, 54.

٨٨-Chandra Talpede Mohanty, "Carlographies of Struggle" Third World Women and the Politics of Feminism", in Third World Women and the Politics of Feminism, Mohanty, Ann Russo and Lourdes Torres, eds., (Bloomington: Indiana University Press, 1991), 38.

balance between all factions. See Lesch, Arab Politics, 95-110.

70.Ibid., 101.

71. Filastin, June 13, 1947.

72. Al-Sirat al-Mustaqim, Feb. 6, 1931.

73.Filastin, Jan. 13, 1940.

74. Al-Karmal, March 25, 1935.

75. Moghannam, The Arab Woman, 82.

76. Secret Report from the High Commissioner to the Secretary of State for the Colonies, July 16, 1936. CZA RG 25S 22768.

77. Filastin, Nov. 28, 1933.

78. ibid., Oct. 10, 1931 and Oct. 14, 1931.

79. Moghannam interview, 1985.

80. Filastin, Dec. 13, 1944.

81. Letter from the Chief Secretary to A.C.C. Parkinson, Apr. 14, 1932. CO 733 221.

82. Sayigh, "Palestinian Women: Triple Burden", 248.

83. Telegram from the Arab Women's Committee to the Colonial Secretary, 1936. FO 371 20023.

84. Interview with Musa Husseini, 1993.

85. Filastin (English), Oct. 26, 1929.

86. Islah Jad, "Dawr al-mar'a al-muqqadasiyya fil-difa` `an al-hawiyya al-`arabiyya li-madinat al-quds", paper presented at the Jerusalem Day conference in Amman, Oct. 10 - 13, 1992, p. 3.

87. Moghannam, The Arab Woman, 54.

88. Chandra Talpede Mohanty, "Cartographies of Struggle - Third World Women and the Politics of Feminism", in Third World Women and the Politics of Feminism, Mohanty, Ann Russo and Lourdes Torres, eds., (Bloomington: Indiana University Press, 1991), 38.